

دراسة ترميمية لخان الوزير كمبنى تراثي في مدينة حلب

(رصد المشكلات الترميمية وتقديم المقترحات اللازمة)

سورية- جامعة حلب

د. ابتسام سنو

أ.م.د. مها الشعار

كلية الهندسة المعمارية

معهد التراث العلمي العربي

dr.ebtesamgo@gmail.com

Mshaar@gmail.com

الباحث : محمد خير الدين أمونة

معهد التراث العلمي العربي- جامعة حلب

Kam moneh@gmail.com

الملخص

تعدّ المباني التراثية من الأشياء الهامة ، والتي يمتلكها كل بلد من بلدان العالم، لذا يسعى كل من هذه البلدان لترميمها وحمايتها والحفاظ عليها. وتزدهر بلداننا العربية بالكثير من هذا المباني ، وقد اخترنا مباني الخانات في مدينة حلب كنموذج عن هذه المباني التراثية. لذا قمنا بدراسة تاريخية ترميمية حول نموذج من هذه الأبنية (خان الوزير) ، وقمنا بتوصيف المشكلات التي يعاني منها هذا الخان ، وقدمنا عدد من المقترحات التي من شأنها أن تحافظ على بنيته التراثية قدر الإمكان.

كلمات مفتاحية : ترميم ، مبنى ، التراث .

Reconstructive study of Wazir Khan as a building

(Monitor the rehabilitation problems and make the necessary proposals)

Syria-Aleppo University

Assistant Prof.Maha Alshaar

Dr.Ibtesam snou

Institute of Arab Scientific Heritage

faculty of architecture

mohmad kheer Aldeen Ammoneh

Institute of Arab Scientific Heritag

Abstract

Heritage buildings are important objects owned by every country in the world, so each of these countries seeks to restore, protect and preserve them. Our Arab countries are rich in many buildings, We chose the buildings of the buildings in the city of Aleppo as a model for these heritage buildings. Therefore, we conducted a historical study on a model of these buildings (Khan al-Wazir), We have described the problems of this Khan, and have made a number of proposals that would preserve his heritage as much as possible.

Key words : Restriction ,Building , Heritage

المقدمة:

في الآونة الأخيرة تنامي الاهتمام بالحفاظ على التراث باعتباره ركيزة أساسية من ركائز التعامل مع فكر العولمة ، خاصة في المجتمعات النامية ، ومنها المجتمعات العربية ؛ لما لهذه المجتمعات من رصيد ومخزون تراثي كبير متمثل في المباني والمناطق ذات القيمة ولما للتراث من أهمية في الحفاظ على الهوية، وكذلك لما تعانيه بعض هذه المباني من تعديات وإهمال كبير^(١). ومن هذه الأبنية التراثية أبنية الخانات في مدينة حلب، وقد اخترناها كميدان للبحث، لما تتمتع به من شهرة عالمية ؛ وذلك بسبب تاريخها وأسلوب بنائها

ومساحاتها الواسعة، ولما تعانیه هذه الأبنية من تعديّات وإضافات، أسهمت بشكل أو بآخر بالوصول إلى وضع سيء لحد ما، لذا كان لابد من الانتباه لهذه الخانات وتبسيط الضوء على هذه المخالفات والإساءات، وتقديم الحلول والمقترحات الترميمية ، التي نأمل أن تؤدي إلى النهوض بواقع الخان في حال طبقت فيه.

المبحث الأول

١- مفهوم المباني التراثية:

التراث هو ذلك المخزون المتميز الذي يميزه الثبات والاستمرارية معاً، والذي يجمع في أعطافه القيم الروحية والجمالية، فضلاً عن كونه حقيقة مادية قائمة فرضت قبولها واحترامها، لكونها تسجيلاً لثقافة المجتمع ووحدة منهجه وملامحه الإنسانية والفكرية عبر العصور^(٢).

ومنذ الألف الرابع قبل الميلاد تكون لدى إنسان ما قبل التاريخ في الشرق، مجموعة من المبادئ المعمارية التي مهدت لظهور مباني تراثية تعود حضارات كبرى معروفة (مصر - وبلاد الرافدين - وسورية القديمة)، إذ استفاد إنسان تلك الحقبة من خبراته وتجاريه على الصعيدين المعماري والفني لتشييد مجموعة الوحدات المعمارية الضخمة ، والتي تجلت في مجموعة القصور والمعابد والمدن والتحصينات المشيدة باللبن أو الآجر أو الحجر المقطوع (أهرامات مصر - زيقورات بلاد الرافدين - قصر ماري - قصر إيبلا) والتي تميزت بطابعها الضخم والجميل، وكذلك في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد إذ تجلّى جمال العمارة ونتاج الحضارة الإنسانية في قصور ومعابد الأقصر ومعبد حتشبسوت وقصور تل العمارنة في مصر وكذلك قصر كنوسوس في كريت ومعبد أوروك وعشتار في العراق^(٣).

٢- المشكلات ومظاهر التلف التي تصيب المباني التراثية:

يمكن القول بأن هناك العديد من الأضرار والمشكلات التي تصيب المباني التراثية ناجمة عن مسببين اثنين (وهذا ما سوف نراه في خان الوزير-موضوع البحث) ومن هذه المشكلات:

أ-الأضرار الطبيعية: ويقصد بذلك العوامل الجوية والأمطار التي تعمل على إزالة طبقة الردم أو المادة اللاصقة بين حجارة البناء، مما يؤدي إلى ضعف الجدران والأسقف، ويسهل عملية تغلغل المياه في الشقوق وإضعاف بنية الجدران، وكذلك الارتشاح السقي لماء المطر، ولاسيما في السطوح المستوية إذ تتسرب المياه إلى أساسات البناء، وتحدث تفاعلات كيميائية مع المواد الحجرية نتيجة تحلل الأملاح فيها وتبلور المادة الذائبة عند جفافها فينجم عنه تفتت الكتل الحجرية.

هذا إلى جانب تشكل طبقة بكتيرية عشبية على السطح الداخلي للمادة الحجرية في الجزء الظليل، وهذا يؤدي إلى نمو النباتات الطفيلية والأعشاب الكثيفة بين زوايا البناء ويمهد لتشكيل بيئة مناسبة لإنتاش بذور النباتات المحمولة من قبل الطيور أو الريح، والتي تنمو نتيجة الرطوبة والماء المتسرب، وتتشكل الأغصان والفروع التي تعمل على شرخ وكسر وخلع الحجارة الصلبة، وإضعاف البناء، وتهديد استقراره، وتؤدي إلى إلحاق أضرار بالغة في المباني التراثية، إذا استمرت مدة طويلة في إغراقها.

ب-الأضرار التي يسببها الإنسان: تعود الأسباب الرئيسة الكامنة وراء الضرر الذي يلحقه الإنسان بالمباني التراثية هو الهدم والإضافات التي تحوز النسبة الأعلى في أسباب اندثار وزوال المباني التراثية، وتعود إلى الرغبة الجامحة لدى الإنسان في تجديد البناء وإعادة توزيع مرافقه والحصول على مورد مالي جديد من خلال إعادة استثمار الفعالية الجديدة، هذا إلى جانب الجهل بالقيمة الأثرية والحضارية للبناء التراثي (كما سنرى في خان الوزير).

٣- الخانات تاريخياً: من الناحية اللغوية فكلمة خان ذات أصل تركي أو فارسي وتعني موضع سكن المسافرين في بلاد المسلمين والجمع منها (خانات) ولها معاني متعددة نورد منها: (الفندق - المتجر - الحانوت - الحاكم - الأمير)^(٤).

تاريخياً تم التعرف على بناء الخان في العصور الإسلامية الأولى، ويعتقد بأن أقدم خان بني في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وذلك في عام (١٠٩هـ) وقد نقش على ساكف بوابته كتابة تذكر اسم المعمار (ثابت بن أبي ثابت)^(٥)، تم بناؤه في البادية السورية. وقد تطورت هذه الخانات خلال العهود الإسلامية وازدهرت خلال العصر المملوكي والعصر العثماني وركز هنا على العصر العثماني بالذات وذلك لما شهدته المدن الإسلامية من ازدهار اقتصادي خلال بدايات العصر العثماني.

وتجتمع أغلب الخانات في المدن الإسلامية بتصميم معماري متشابه فالخان عبارة عن فناء داخلي محاط بالحوانيت وذلك على طابقين وفي وسط الفناء وجد مسطح مائي كبير أو في بعض الأحيان تم بناء مسجد لقضاء الصلوات في الخان (كما في خان الوزير - موضوع البحث).

استعملت في بناء الخانات مواد تغيّرت مع الموقع. فقد تكون من طين أو من قرميد مشوي أو نبيء، في العراق وإيران ومصر، أو من حجارة كلسية أو بازلتية في الشام وتركيا^(٦).

٤- الخانات في مدينة حلب القديمة:

قديماً كان يضرب المثل بأربعة أشياء، إذا ذكرت الخانات قالوا مدينة حلب، وإذا ذكرت الجوامع والمآذن قالوا مآذن إستانبول، وإذا ذكرت الحمامات قالوا حمامات الشام، وإذا ذكرت المقاهي قالوا مقاهي بغداد^(٧). ويذكر المؤرخ الحلبي كامل الغزي عن تجارة حلب وازدهارها فيقول: (التجارة في حلب آخذة بالتقدم والرقى ولذا زاد عدد التجار زيادة عظيمة بحيث بلغ ثلاثة أضعاف ما كانوا

عليه. ونشأ من بينهم أصحاب ثروات تستحق الذكر بعد أن كان أحدهم لا يملك من المال غير القدر الذي يسد به رمقه. ولزيادة عدد متعاطي التجارة وتضخم الثروة العامة غلت قيمة المنازل والحوانيت والخانات وأجورهما فارتفعتا إلى أربعة أضعاف ما كانتا عليه رغما عن العدد الكبير الذي تجدد إيجاده من هذين النوعين^(٨). نستنبط من هذا النص ازدهار مدينة حلب تجارياً مما انعكس على زيادة بناء الخانات وتفعيل حركتها التجارية.

كما أن حلب أصبحت في القرون الوسطى مركزاً تجارياً هاماً، مما دعا إلى إنشاء عدد كبير من الخانات، التي كانت تتوقف فيها القوافل، وينزل فيها التجار القادمين من أوروبا^(٩). ومازالت خانات حلب تحتفظ بقوة بنائها وجمال زخرفتها ورشاقة هندستها الرائعة، فهي بالأصل بنيت لتأمين الراحة للمسافرين والسوق للبائعين والمشتريين يبلغ تعداد هذه الخانات في مدينة حلب (١٢) خاناً ما يوضح الجدول رقم (١)، وما تبقى من خانات في مدينة حلب يعود أغلبه إلى الفترة المملوكية والفترة العثمانية^(١٠).

وعلى الضفة الأخرى من الحديث تعج الخانات في مدينة حلب بالمخالفات والتعدييات التي شوهت بنائها الأصلي؛ ويرجع ذلك بسبب جشع التجار ورغبتهم بزيادة مساحة محلاتهم وتأمين أماكن عرض إضافية لبضائعهم مما أدى إلى تدهور هذه الخانات (وهذا ما سنحاول عرضه في بحثنا من خلال نموذج خان الوزير).

الرقم	اسم الخان	تاريخ البناء	المساحة الكلية م ^٢	مساحة الباحة م ^٢
١	الحرير	القرن ١٦	٢٠٠٠	٦٠٠
٢	القصابية (أبرك)	١٥١٠	٣٣٠٠	١٠٠٠
٣	الحوال	١٥٩٤	١٧٠٠	٤٠٠
٤	الجمر ك	١٥٧٤	٦٢٠٠	٢٤٠٠
٥	النحاسين	١٥٤٨	١٥٠٠	٥٠٠
٦	البرغل	القرن ١٥/١٦	١١٠٠	١٣٠
٧	العبيسي	القرن ١٦/١٧	٢٠٠٠	٣٥٠
٨	العلبية	١٥٥٦	٥٦٠٠	٢٠٠٠
٩	الفرايين	القرن ١٧	٢٥٠٠	٩٠٠
١٠	خاير بيك	١٥١٤	٣٠٠٠	٨٠٠
١١	الوزير	١٦٨٢	٤٨٠٠	١٨٠٠
١٢	الصابون	قبل ١٤٩٣	٢٣٠٠	٧٠٠

جدول رقم (١) يوضح عدد الخانات المنتشرة في مدينة حلب القديمة-حجار، عبد الله ،
(بتصرف من الباحث)

المبحث الثاني

خان الوزير كحالة دراسية:

لابد في بداية الأمر من التعرض لمفهوم الترميم لتقديم الدراسة الترميمية حول هذا الخان. فالترميم هو أي عملية تدخلية هدفها الحفاظ على المعلم الثقافي وبثه للمستقبل، وتقوم بتسهيل قراءته، وبعدم مسح آثار مرور الوقت على الأعمال ذات الأهمية التاريخية والفنية. ويقوم الترميم على احترام المادة القديمة والوثائق الأصلية المكونة لهذا التراث^(١١).

١-نبذة تاريخية: بنى هذا الخان والي حلب قره محمد باشا^(١٢) عام (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، وقد صار وزيراً فيما بعد لذلك سمي الخان بـ خان الوزير، كان الطابق الأرضي مخصص لخبز البضائع وعرضها ومؤخراً جعلت كل الغرف محلات تجارية وورشات للصناعات الخفيفة^(١٣). يذكر المؤرخ الغزي

مدى اهتمام السياح بواجهته الغربية الداخلية التي تعبر عن التلاحم الديني في حلب إذ يوجد بها زخرفة على شكل هلال وأخرى تمثل الصليب فيقول: " وهو خان عظيم شهير يعد من أعظم خانات حلب، وجبهة بابه مشتملة على صنعة من البناء والعمارة تستدعي السائحين إلى الإقبال عليها لأخذ رسمها والإعجاب بشأنها " (١٤).



الصورة رقم (١) تبين الوضع الأصلي للخان قبل التعديلات عام ١٩٣٠م (سوفاجيه)
٢-الموقع: يقع في سوقة علي على امتداد الشارع الحديث، من الجامع الأموي حتى القلعة. كما يبين الشكل رقم (١).



الشكل رقم (١) تبين موقع خان الوزير في مدينة حلب القديمة (مديرية السياحة في حلب-
بتصرف من الباحث)

٣-الوصف الهندسي للخان: يتم الدخول لهذا الخان من الضلع الغربي للفناء الداخلي، وهذا الفناء ذو شكل شبه منحرف أطوال أضلاعه هي كالتالي:
الجنوبي (٥٠،٥) م، الشرقي (٤٠) م، الشمالي (٤٨) م، والغربي (٣٢،٥) م،



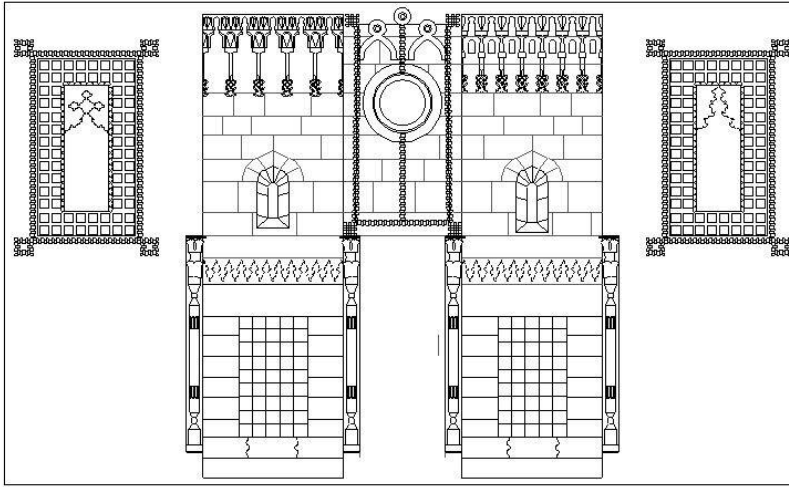
الشكل رقم (٢) يوضح مخطط معماري لخان الوزير - مديرية الآثار والمتاحف (بتصرف من الباحث)

وتبلغ مساحة هذا الفناء (١٨٠٠) م^٢، تحيط بالفناء كتل معمارية على طابقين تبلغ مساحتها الإجمالية (٤٨٠٠) م^٢.

الضلع الغربي عن طريق دهليز مباشر بأبعاد (٣.٣×١٤) م، يضم هذا الخان في وسطه مسجد ذو مسقط مستطيل مرتفع عن أرضية الفناء بمقدار (٣.٧) م، أبعاده (٥×٩.٥) م وتعلوه قبة مضلعة، شوه هذا المسجد بالأبنية الطفيلية التي تحيط به، وقد ألغيت وظيفة المسجد وأصبح مكان لبيع القماش مؤخراً، كما أن هذه الأبنية الطفيلية جعلت القسم الخلفي (خلف المسجد) من الفناء مهملاً دون أي وظيفة، تنتشر حول الخان محلات تجارية عددها (٣٦) محل ذات اتصال مباشر مع الفناء. كما يوضح الشكل رقم (٢).

واجهات هذا الخان ذات ارتفاع يبلغ (١١) م، وقد تم استعمال الرواق في المستوى العلوي، وكما أن طراز الأقواس المستعملة مختلفة فهي تارة مدببة وتارة أخرى عثمانية، تستند بعضها على عضادات ذات مقطع مربع طول ضلعها (٨٠) سم، والبعض الآخر مستند على أعمدة ذات مقطع نحيف وبدن مثنى وتاج مزخرف بالمقرنصات.

يحتل القسم الوسطي من الواجهة الغربية أهمية خاصة وغنى زخرفي كبير ، فهي تحتوي على ثمان فتحات إحداها فتحة المدخل ذات القوس المدبب تعلوها نافذتان تتوزعان على طرفي محور المدخل وهما محاطتان بإطار من المداميك الحجرية الملونة باللون الأصفر والأسود بشكل متناوب ، وفوقها تماما .



الشكل رقم (٣) يوضح الواجهة الداخلية الغربية لخان الوزير (رسم الباحث)

كما يوجد فتحة دائرية محورية مع قوس المدخل يحيط بها إطار زخرفي من المكعبات الحجرية المتناوبة والذي يحيط به إطار آخر. في جزئه العلوي فوق المدخل الرئيسي نافذتان متناظرتان أبعاد النافذة الواحدة (٢.٤×١.٤) م، وهي ذات زخارف جميلة الأولى تحمل شكل الهلال والثانية شكل الصليب نالت

شهرة عالمية. وبين هاتين النافذتين أيضاً إطار مستطيل غائر عن الواجهة الرئيسية بمقدار (١٠) سم يحتوي على زخارف وأعمدة مزخرفة مجدولة.

العنصر	العدد	المكان
مسجد	١	وسط الفناء
محل تجاري	١١	الواجهة الشمالية
محل تجاري	١٠	الواجهة الشرقية
محل تجاري	٩	الواجهة الجنوبية
محل تجاري	٦	الواجهة الغربية
درج	١	الواجهة الشرقية

جدول رقم (٢) يبين البنية الوظيفية للفراغات المكونة لخان الوزير

أما الأدراج فتتوزع في أركان الخان المختلفة، فهناك درج يتوضع في الضلع الشرقي للخان ويحتوي على (٢٢) درجة، تشكل الدرجات الأولى وعددها (١٤) درجة الشاحط الأول، توصل إلى استراحة وبعدها يتفرع الدرج إلى فرعين يميني ويساري. أما الدرج الثاني فهو بجانب المسجد وهو درج أهمل مؤخراً ليس له أية وظيفة نظراً لإلغاء وظيفة مسجد الخان. الدرج الثالث يتوضع في الواجهة الشمالية وهو درج حجري ضيق يؤدي إلى سطح الخان. أما الدرج الأخير فيتوضع في الواجهة الداخلية في طرفها الأيمن، يتألف من أربعة شواط، الثلاث شواط الأولى تؤدي إلى الباب المقابل للقلعة، أما الشاحط الرابع فيؤدي إلى الرواق في الطابق الأول. جدران الخان مبنية من الحجر الكلسي الأبيض المشذب والمنحوت، و بسماكات كبيرة نسبياً لا تقل عن (٧٠) سم. ويتوزع عدد من الأحواض النباتية بعضها من أصل المبنى والآخر مضاف حديثاً.

٤- المشكلات ومظاهر التلف في الخان:

سنحاول في هذا الجزء للتعرض للمشكلات التي أصابت الخان والتي كان للتجار الجزء الأكبر في حدوثها، وسوف نوصف كل مشكلة وموقعها، وهي على التالي:

أولاً-مشكلات الأرضيات: أرضية الفناء في هذا الخان من الحجر الأصفر المنحوت وبأبعاد (١٠×٥٢سم) وذلك حتى عام ١٩٣٠م، إذ تم استبدالها بحجر نحيت أصفر بأبعاد (٣٥×٣٥سم) والأرضية بشكل عام مهترئة ومتكسرة ومفقودة في أجزاء كثيرة من الخان، مع ملاحظة وجود انتفاخ في بعض الأحيان ويعزى ذلك كله إلى عدة أسباب أهمها السماح بدخول السيارة إلى الفناء وكذلك دخول الشاحنات المحملة بالبضائع ما أدى إلى تدهور أرضية الفناء بشكل كبير واحداث جور وانتفاخات وتكسرات في الأرضية. ومما زاد في الأمر سوءاً أيضاً زراعة أشجار كبيرة وضخمة أدت إلى تموج في الطبقة السطحية للبلاط وقد أضيفت هذه الأشجار حديثاً. أما أرضيات المحلات فقد تم تغطية البلاط القديم ببلاط حديث وسيراميك وتفنن صاحب كل محل بوضع مادة اكساء حديثة لا تتناسب وطبيعة هذا المبنى التراثي.



الصورة رقم (٢) توضح تحول أرضية الخان إلى موقف للسيارات وماتحدثه من ضرر في الأرضية (مديرية المدينة القديمة)

ثانياً-مشكلات الأسقف: أسقف محلات هذا الخان مازالت محافظة على حالتها الأصلية إذ أنها مبنية بأسلوب الغمس والأقواس المتداخلة من الحجر الأبيض

وحالتها الإنشائية مستقرة مع وجود بعض التعديلات الشخصية من قبل أصحاب المحلات تتمثل في تغطية هذه الأسقف بمواد حديثة (زريقة اسمنتية-ورق جدران-دهانات) مما أدى لتشويه هذه الأسقف ويذكر بأن قبة المسجد مهترئة وتطغى عليها بعض الشقوق الطولانية. أما أسقف الأروقة العلوية في الطابق الأول فهي من المورينات الخشبية الأصلية ولكن بحالة إنشائية سيئة (نتيجة لعدم صيانتها الدورية) وفي بعض الأجزاء مفقودة ومستعاض عنها بأجزاء معدنية (أنابيب معدنية).

ثالثاً-مشكلات الواجهات:

أ-الواجهة الشمالية: تعرضت هذه الواجهة لتدمير كبير وخطير وذلك بسبب هدمها وإعادة بنائها وذلك من أجل توسيع الشارع المحاذي للواجهة إذ هدمت البلدية عام (١٩٥١م) القسم الشمالي من الخان عند فتح الشارع المؤدي إلى القلعة وأزيلت الغرف في الطبقة العلوية وقد أعيد مؤخراً بناء الجناح الشمالي للخان، حيث تم إنشاء رواق ذو أقواس مدببة من الأعلى تتناسب مع الأقواس التي أزيلت نتيجة الهدم.

تعاني الواجهة من الخارج من مظاهر تلف عديدة أهمها نمو النباتات الطفيلية في المداميك العلوية من الواجهة ووجود بعض الجريان في عدد من النوافذ المتوسطة مع تغيير في الشكل الهندسي الأساسي للنوافذ وذلك خلال فترة إعادة بنائها. أما الواجهة من الداخل فالواجهة محافظة على بنائها الأصلي (لأن الهدم لم يصل إليها) مع وجود بعض التجويفات السطحية في المداميك العلوية من الواجهة.



الصورة رقم (٣) توضح مظاهر التلف في الواجهة الشمالية للخان (جريان-نخر-نوافذ حديثة)(مديرية المدينة القديمة)

ب-الواجهة الغربية (المدخل): لا تخلو هذه الواجهة من بعض النخر والتجاويف السطحية التي أصابت بعض المداميك وخصوصاً المداميك العلوية، كما يلاحظ التشويه الكبير لهذه الواجهة وذلك من خلال التمديدات الكهربائية (الكابلات) والتجهيزات الكهربائية الظاهرة (أجهزة التكييف-أجهزة الإنارة) والتي أساءت للواجهة بشكل كبير.



الصورة رقم (٤) توضح الواجهة الغربية الداخلية(الباحث)

أما الواجهة الخارجية فهي مبنية من الحجر السماقي والأسود بطريقة الأبلق ومحافظة على شكلها الأساسي وزخارفها سليمة، مع فقدان أجزاء من هذه

الزخارف متواجدة فوق الباب (تمت سرقتها في فترة الانتداب الفرنسي)، وقد تم إضافة رنكين أيوبيين على جانبي باب الدخول لا يمتان للخان بأي صلة (من حيث الفترة التاريخية).

ج-الواجهة الشرقية: تتميز هذه الواجهة بأقواس أروقتها المتنوعة ولكن يسود على هذه الواجهة الاسوداد والنخر وكذلك التمديدات الكهربائية الظاهرة والتجهيزات الفنية الموزعة بشكل ظاهر وعشوائي، وهناك اهتراء بالمزاريب الحجرية الموجودة في نهاية الواجهة مع ملاحظة إلغاء وظيفة هذه المزاريب والاستعاضة عنها بأنابيب تصريف بلاستيكية ظاهرة مما أدى إلى تجمع مياه الأمطار على سطح الخان وإحداث رطوبة وتشققات عدة في أسطح الخان. وقد أدى وجود المداخل المنتشرة على هذه الواجهة إلى الكثير من الاسوداد بسبب نثر الغبار الأسود على سطح الأحجار. كما لا تخلو هذه الواجهة من اللوحات الإعلانية التي تفنن أصحابها بأشكالها وألوانها وأدت بوجودها إلى تشوه بصري واضح في هذه الواجهة.



الصورة رقم (٥) توضح التجهيزات الكهربائية الظاهرة على الواجهة الشرقية (الباحث)

د-الواجهة الجنوبية: وفي هذه الواجهة إحداث عدد من النوافذ الحديثة؛ وذلك من قبل أصحاب المحلات وكذلك هناك تمديدات صرف صحي ظاهرة وكتابات عشوائية وتجاويف في بعض المداميك الحجرية ويلحظ نمو النباتات

الطفيلية الضارة بين الأحجار مما أدى إلى سقوط بعض الأحجار واستبدالها أصحابها بقطع من البلوك الاسمنتي الحديث. ويلحظ أيضاً كثرة المظلات المعدنية والتي أدت لتشوه الواجهة وأحداث صدأ وجريان على أجزاء من هذه الواجهة، ولا يجب إغفال دور الدهانات الحديثة التي كان لها دور واضح في تشويه هذه الواجهة.



الصورة رقم (٥) توضح النوافذ العلوية المستحدثة في الواجهة الجنوبية (الباحث)

هـ-المسجد: الزائر لهذا الخان لا يمكن أن ينتبه لوجود هذا المسجد في الخان في أغلب الأحيان، وذلك بسبب كثرة التجاوزات والاضافات التي أنجزها بعض أصحاب المحلات نتيجة للطمع والجشع ورغبة منهم بالحصول على مستودع لهم في وسط الخان فكان المسجد هو الضحية، إذ أن معظم التجار قاموا ببناء مستودعات بشكل محيط بهذا المسجد وعلى ارتفاع طابقين وبنوا لهذه المستودعات النوافذ والأدراج، إلى أن تم إلغاء وظيفة هذه المسجد الأصلية وتم إهماله وإهمال مرافقه حتى أن جدرانه متداعية وقبته تظهر عليها شقوق طولانية ليست بالقليلة.



الصورة رقم (٦) توضح الكتل والإضافات المخالفة التي غطت المسجد وسط الخان (الباحث)
٥-المقترحات الترميمية:

عن طريق الوقوف على المشكلات السابقة التي تم رصدها، نستطيع أن نقدم رؤية عن طريق الواقع للنهوض بحال الخان، بعد أن لفتنا الانتباه إلى التحديات التي طالته، والتي أدت إلى تدهوره عبر الفترات التاريخية المتعاقبة ومن هذه المقترحات ما يلي:

أ-التوثيق الدقيق: يجب بداية توثيق المشكلات الراهنة الظاهرة في الخان، والوقوف عند كل مشكلة، ومن ثم الرجوع إلى المصادر التراثية والمخططات المرسومة حول الخان للوقوف على حال هذا الخان في الفترات السابقة ومحاولة إرجاع الألق إليه بعد أن طالته يد التعدي والإهمال.

ب-المقترحات الترميمية بالنسبة للأرضيات: لتدارك الوضع السيء لأرضية الخان لا بد من الكشف عن طبقة البلاط القديم ومحاولة ترميمه وتهذيبه واستكمال الأجزاء الناقصة ببلاط مماثل قدر الإمكان كما يجب منع دخول السيارات إلى الخان لأن هذا الأسلوب يؤدي إلى تكسر البلاط وإحداث تفاوت بين طبقات هذا البلاط ويمكن الاستعاضة عن دخول السيارات بعربات يدوية لتفريغ ونقل البضائع بشكل آمن، كما أن دخول السيارة إلى فناء الخان يؤدي إلى اهتزازات كبيرة قد تؤثر على بنية الخان بشكل أو آخر، كما يجب تأمين

ميول جيد لهذه الأرضية من أجل تصريف المياه وعدم تجمع المياه في بعض الأماكن، ومن الضروري إزالة الأشجار الكبيرة والتي تؤدي جذورها الكبيرة إلى انفخات وتموجات في البلاط والاستعاضة عنها بنباتات صغيرة وزهور توضع في أحواض مستقلة تعطي مظهر جمالي للخان ولا تؤثر على الأرضية.

ج-المقترحات الترميمية بالنسبة للواجهات: تشترك واجهات الخان بعدد من المشكلات، ونقترح لتدارك وضع الواجهات ما يلي:

١- لا بد من إزالة جميع الإضافات والتعديلات التي تشوه هذه الواجهات (التمديدات الكهربائية-الكابلات-أجهزة التكييف-لوحات إعلانية-أنابيب الصرف الصحي-إغلاق النوافذ المستحدثة-إزالة المظلات المعدنية والاستعاضة عنها بمظلات خشبية تماثل المظلات القديمة التي كانت منتشرة في أسواق مدينة حلب القديمة.

٢- نقترح إزالة الدرابيات المعدنية واستبدالها بأبواب خشبية تماثل الأبواب القديمة.

٣- معالجة الأحجار من حيث تنظيفها من الاسوداد وتغطية الثقوب وأماكن النخر بمادة لا تشوه الأحجار الأصلية (كحلة تقليدية) واستكمال الأحجار المفقودة بأحجار مماثلة.

٤- من الضروري إزالة النباتات الطفيلية من بين الأحجار بواسطة المواد الكيميائية المختصة، لأنها سببت الكثير من الأذى لواجهات الخان.

د-المقترحات الترميمية بالنسبة للأسقف: من الناحية الإنشائية فهي سليمة ومحافظة على وضعها الأصلي (كما أسلفنا الذكر) ولكن يجب إزالة الطبقة المضافة (الزريقة الاسمنتية -الدهانات) وإظهار الحجر الأصلي المكون للأسقف وصيانة الفواصل بين الأحجار بالحلة الحليية التقليدية. بالنسبة لأسقف الأروقة في الطابق الأول يجب صيانة الأجزاء المهترئة عن طريق فك

المورينات الخشبية وصيانتها ودهنها بمادة عازلة ومضادة للتسوس وإزالة الأسقف الببتونية التي تم بنائها في فترات متعاقبة والتي تسيء للخان بشكل واضح.

هـ-المقترحات الترميمية بالنسبة للمسجد: لإعادة وظيفة المسجد وألقه لابد من إزالة التعديلات والإضافات المحيطة (البلوك الإسمنتي-الجدران الإسمنتية) وصيانة قبة وإزالة الأدراج الحديثة والاعتناء بمرافقه.

الخاتمة

بعد جولة -ممتعة مؤلمة -بنفس الوقت في رحاب هذا المبنى التراثي تبين لنا أهمية هذا الخان كمبنى تراثي خلفه لنا الأجداد وبذات الوقت لاحظنا مدى التعدي الذي طال هذا المبنى وكان للتجار اليد الطولى في هذا الموضوع. ومما لا ريب فيه أن من أهم الأسباب التي أدت إلى هذه التعديلات ونقص (الإضافة-الهدم-تغيير المعالم)، هو السبب المادي والسبب الثقافي، فالسبب المادي رغبة التجار والقاطنين في زيادة مساحة حوانيتهم وكذلك رغبتهم بتأمين أماكن إضافية لعرض منتجاتهم، أما السبب الثقافي فيرجع إلى قلة الوعي من قبل مستخدمي الخان حول أهمية المباني التراثية وتاريخ الخان وأهميته بل ويعتبرونه كأى مكان من أماكن المدينة الحديثة (هذا ما حدثنا به بعض التجار خلال زيارتنا الميدانية).

ولا نغفل أيضاً أن الزحف العمراني ومتطلبات التكنولوجيا الحديثة كل ذلك أدى لخلق هذه الأبنية، والإضرار بها (كما لاحظنا سابقاً في عملية هدم الواجهة الشمالية من أجل تأمين شارع لدخول السيارات على حساب القيمة الأثرية للخان).

وفي نهاية المطاف لابد من توثيق الخان بوضعه الحالي مع التعديلات والمخالفات، والبدء بوضع خطة مشتركة لإزالة المشكلات التي أشرنا إليها،

والرجوع إلى الوثائق والمصادر التراثية، لإعادة الخان إلى وضعه الأصلي قدر الإمكان، مع ضرورة توعية مستخدمي الخان حول تاريخه وأهميته، أو بلفظ آخر (بتقيفهم تراثياً)، لتلافي إعادة هذه المخالفات في حال ترميم هذا الخان.

قائمة الهوامش:

- (١) إيزيس فهد، تجربة الترميم والحفاظ على التراث في إيطاليا أورفيتو حالة دراسية " وإمكانية تطبيقها في فلسطين، ص ١١.
 - (٢) أحمد محمود، الموروث المعماري وأثره على العمارة المصرية المعاصرة، ص ٢٠.
 - (٣) زياد سلهب، صيانة الآثار وترميمها، ص ١٩-٢٠.
 - (٤) ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، ص ٣١٣.
 - (٥) نبيلة القوصي، الخانات في مدينة دمشق، ص ٢.
 - (٦) المصدر السابق نفسه.
 - (٧) لمى عقاد، حماية التراث العمراني في مدينة حلب القديمة، ص ٩٨.
 - (٨) كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ١، ص ١٥٦-١٥٧.
 - (٩) قتيبة الشهابي، معجم المواقع الأثرية في سورية، ص ١٠٨.
 - (١٠) عبد الله حجار، معالم حلب الأثرية، ص ٨٦.
 - (١١) جمال عليان، الحفاظ على التراث الثقافي، ص ١٦.
 - (١٢) كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ١٩٦.
 - (١٣) عبد الله حجار، معالم حلب الأثرية، ص ٨٣.
 - (١٤) كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ١٩٦.
- المصادر والمراجع:**
الكتب العربية والأجنبية:

سلهب، زياد والطيار، محمد شعلان، صيانة الآثار وترميمها، كلية الآداب والعلوم الانسانية، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٩.

محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

عقاد، لمى، حماية التراث العمراني في مدينة حلب القديمة، جامعة حلب، كلية الآداب الانسانية، ٢٠٠٨.

الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب، مطبعة دار القلم. ١٩٩١م.
الشهابي، قتيبة، معجم المواقع الأثرية في سورية، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦.

عليان، جمال، الحفاظ على التراث الثقافي، عالم المعرفة، العدد ٣٢٢ الكويت، ٢٠٠٥.

حجار، عبد الله، معالم حلب الأثرية، مطبعة جورج متليد، حلب، ٢٠٠٩.
عثمان، نجوى، الآثار والأوابد التاريخية في حلب كلس وغازي عنتاب. جامعة حلب، ٢٠٠٩.

SAUVAGET, J, Alep essai sur le développement d'une grande ville syrienne, des origins au milieu du XIXe siècle, Paris, librairie orientaliste Paul Geuthner, ١٢, rue vavin, Vie, ١٩٤١.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

فهد، ايزيس محي الدين عبدة، تجربة الترميم والحفاظ على التراث في إيطاليا "أورفيتو حالة دراسية" وإمكانية تطبيقها في فلسطين "عراق بورين حالة دراسية"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٠.

أحمد، محمد أحمد محمود، الموروث المعماري وأثره على العمارة المصرية المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ٢٠٠٨.

المواقع الالكترونية:

القوصي، نبيلة، الخانات في مدينة دمشق، مقالة في موقع
www.naseemalsham.com